فاعلية المكان في رؤية الناقد العربي القديم

أ. د. محمود عبد الله الجادر

كلية الاداب – جامعة بغداد

إنشغلت بواكير منجزات الجهد النقدي العربي المتخصص في القرن الثاني الهجري بالنص الشعري الجاهلي ، ذلك أن جل نقاد ذلك القرن –أو من قدم ملاحظات أو آراء نقدية – كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وابن سلام وسواهم كانوا من اللغويين وتلامذتهم ، وكان اللغويون لا يفتحون صفحة جهدهم إلا للنص الجاهلي شاهداً يعتمدون عليه في عملهم اللغوي، ثم لما طالت ألفتهم لهذا الشعر وخبروا اسراره وخفاياه، واطلعوا على مدى احتذاء الإسلاميين والأمويين على مثاله ، وتقليدهم نماذجه ، لم يعدلوا به شعراً إسلامياً ولا أموياً ، وهكذا قصروا نشاط جهدهم النقدي على الشعر الجاهلي ، ولم يتناولوا سواه إلا في حالات اضطرار ، أو حالات تأثر آني.

ولأن الشعر الجاهلي انبثق في هذه الجزيرة العربية ، ونضج فيها ، فإن الجهد النقدي الذي دار حوله لم يعنَ كثيراً بالحديث عن آثار (بيئات مكانية) ، ولم يخطر ببال أحد من العلماء أن يستمد معياراً نقدياً لهذا النمط من النظر بشكل واضح لا سيما الرعيل الأول من اللغويين النقاد ، على إننا قد نفوز بتصور ما عند تلامذة ذلك الرعيل قد تكون بوادره البكر في كتاب محمد بن سلام الجمحي (طبقات فحول الشعراء) .

لقد أدرج ابن سلام في كتابه ذكر أربعين فحلاً من فحول الجاهلية وزعهم على عشر طبقات في كل طبقة أربعة شعراء ، ثم أدرج ذكر أربعين فحلاً من فحول الإسلاميين وزرعهم على عشر طبقات في كل طبقة أربعة شعراء أيضاً ، ولم يعن في توزيعه الجاهليين ولا الاسلاميين بأية اشارة الى اثر البيئة المكانية في اشعارهم بل إن البيئة المكانية لم تشكل في قناعته – كما يبدو – هاجساً يغدو معياراً من معايير التوزيع الطبقي للشعراء ، فنحن لا نلمح أي تناظر بيتي بين شعراء اية طبقة ولا نلمح أي تباين بين شعراء طبقة وشعراء طبقة أخرى ، وهكذا يبدو أن لا وجه للحديث عن (رؤية مكانية) في التوزيع الطبقي عند ابن سلام ، بيد أن كتاب (طبقات فحول

ويبدو أن العلماء بعد ابن سلام فتحوا صفحة جهدهم لملاحظات أقرب إلى الطبيعة الفنية منها الى الطبيعة اللغوية للشعر عند حديثهم عن الشعر البدوي والشعر المولد ، فالجاحظ يعمد الى موازنة فنية بين شعر المولدين وشعر الأعراب فيقول : ((الفرق بين المولد والأعرابي أن المولد يقول بنشاطه وجمع بانه الابيات اللاحقة باشعار أهل البدو فإذا أمعن إنحلت قوته واضطرب كلامه))[٧] .

ويبدو الجاحظ أكثر وضوحاً في الإشارة إلى أثر البيئة المكانية في الأدب حين يتحدث عن حظوظ القبائل من الشعر فيقول : ((وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشدة بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وحسد العرب لهم على دارهم، وتخومهم وسط أعدائهم، حتى كأنهم وحدهم يعدلون بكراً كلها ، ومع ذلك لم تر قبيلة قط أقل شعراً منهم ، وفي إخوتهم عجل قصيد ورجز وشعراء ورجازون، وليس ذلك لمكان الخصب ، وانهم اهل مدر وأكالوا تمر، لأن الأوس والخزرج كذلك وهم في الشعر كما قد علمت ، وكذلك عبد القيس النازلة في البحرين، فقد تعرف أن طعامهم أطيب من طعام أهل اليمامة ، وثقيف أهل دار ناهيك بها خصباً وطيباً، وهم – وإن كان شعرهم – أقل ، فإن ذلك القليل يدل على طبع في الشعر عجيب ، وليس ذلك من قبل رداء الغذاء ، ولا من قلة الخصب الشاغل والغنى عن الناس ، وإنما ذلك عن قدر ما قسم لهم من الحظوظ والغرائز والبلاد والأعراق مكانها[٨] .

وقد يبدو الجاحظ في نقده هذا متجهاً الى رصد آثار عوامل مختلفة في وفرة الشعراء أو ندرته ، وقد رأينا انه عدّ البيئة المكانية واحداً من تلك العوامل التي حددها بـ (الحظوظ والغرائز) و(البلاد) و(الاعراق) بتعبير آخر أنه حددها بـ (الطبع) و(المكان) و(الجنس) ، وهي عوامل قد تختلف مدارس النقد الحديث على مدى عمق اثر كل منها ولكنها تكاد لا تخرج عنها أو تسقط منها أو تضيف اليها جديداً ذا بال .

وقد يذهب الجاحظ غير مذهبه هذا الذي رأيناه في تقدير مدى أثر البيئة المكانية في الأدب لاسيما حين يواجه الرأي الذي يذهب إلى أن البيئة البدوية أغزر شعراً من البيئة الحضرية فهو يقول : ((وشأن عبد القيس عجب، وذلك انهم بعد محاربة اياد تفرقوا فرقتين ، ففرقة وقعت بعمان وشق عمان ، وهم خطباء العرب ، وفرقة وقعت الى البحرين وشق البحرين ، وهم أشعر قبيل العرب ، ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سرة البادية وفي معدن الفصاحة ، وهذا عجب))[٩] .

فيه نظر ، فبعض من ذكرهم ابن سلام من شعراء القرى ما كانوا شعراء مقترنين باقليم بل كل كانوا شعراء للعرب كافة كحسان بن ثابت وقيس بن الخطيم وأمية بن أبي الصلت فضلاً عن أن بعض من ذكرهم ابن سلام في طبقاته ما كانوا شعراء للعرب كافة بل أن بعضهم ممن لم يتداول العلماء شعراً له عدا ابن سلام كحريث بن محفظ وأمية بن حرثان والكميت بن معروف.

إننا قد لا نخطئ حين نذهب الى أن كون ابن سلام من تلامذة اللغويين هو الذي بعثه على التمييز بين شعر (بدوي) وشعر (حضري) ، وتلك ظاهرة نستطيع أن نلتقطها في بعض تعليقاته النقدية كقوله في عدي بن زيد : ((كان يسكن الحيرة ، ويراكن الريف، فلان لسانه وسهل منطقه، فحمل عليه شي كثير وتخليصه شديد[٤] .

بيدَ أن مثل هذا التعليق لا ينبغي له أن يذهب بنا بعيداً فيحملنا على الظن بأن ابن سلام رأى في شعر شعراء القرى العربية مارآه في شعر عدي بن زيد ، ذلك أن عدي بن زيد كان يعيش في الحيرة التي كانت على صلة وثيقة بالفرس ، ولم يكن ذلك شأن القرى العربية الخمس التي افرد ابن سلام شعراءها ، فالصلة بالفرس مدخل فساد لغة ولين لسان في نظر اللغويين وتلامذتهم حتى إننا لنرى ابن قتيبة يقول في زياد الأعجم : ((وهو كثير اللحن في شعره ، ولهذا قيل له الأعجم ، ولفساد لسانه بفارس)) [٥] .

لقد كان ابن سلام مهيأ للتمييز بين النمط البدوي والنمط الحضري من الشعر ولكن ذلك لم يبلغ حد التمييز (الفني) بل إن التمييز اللغوي كان المحور الخفي كما سبق أن ذكرنا ، ولنا أن نستوثق من هذا الظن بالاطلاع على حقيقة أخرى تكشفها لنا ملاحظة أطلقها ابن سلام وهو يتحدث عن الشعر المنحول حين قال : ((وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون ، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية ، أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الإشكال[٦] .

والذي يعنينا من النص إشارة ابن سلام إلى أن ما وضع الرواة وما وضع المولدون – والشريحتان من اهل المدن أو من روادها بعد الاسلام – لا يشكل على العلماء لأنه لابد أن يكون مشوباً بحضرية لغتهم أو تاثرها باللغة الحضرية . اما ما يضعه الرجل من أهل البادية فإنه يشكل على العلماء لأن لغته لا تبتعد عن بدوية الشعر الجاهلي.

تلمس أثر البيئة المكانية في الأدب إذا دققنا النظر في المضمون الخفي لمذهب القاضي الجرجاني في تمييزه بين النمط الإسلامي والنمط الجاهلي من الشعر في قوله:((فلما ضرب الإسلام بجرانه ، واتسعت ممالك العرب، وكثرت الحواضر، ونزعت البوادي إلى القرى ، ونشأ التأدب والظرف اختار الناس من الكلام أسهله ، وعمدوا الى كل شيء ذي أسماء كثيرة ، فاختاروا أحسنها سمعاً وألطفها من القلب موقعاً، وتجاوزوا الحد في التسهيل، حتى تسمحوا ببعض اللحن، وحتى خالطتهم الركاكة والعجمة، وأعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة الطباع والاخلاق، فانتقلت العادة، وتغير الرسم ، وانتسخت هذه السنة ، واحتذوا بشعرهم على هذا المثال ، وترفقوا ما أمكن ، وكسوا معانيهم الطف ما سنح من الالفاظ ، فصارت إذا قيست بذلك الكلام الاول يتبين فيها اللين فيظن ضعفاً ، فإذا أفرد عاد ذلك اللين صفاء ورونقاً ، وصار ما تخيلته ضعفاً رشاقة ولطفاً[١٢] .

وقد يبدو الجرجاني متحمساً لمتابعة ظواهر متشعبة أفرزها تحول العرب عن باديتهم ، بيد أننا نستطيع أن نلاحظ أن كل ظواهر التحول التي رصدها منبثقة من أثر البيئة المكانية الجديدة التي استقر فيها العرب ، وتلك هي الحقيقة التي غدت تشكل زاوية مهمة من زوايا رؤية الناقد العربي القديم .

لقد كان من نتاج الواقع البيئي الجديد ، أن الشعر العربي بدأ يرتبط شكلاً ومضموناً ببيئاته الجديدة ، حتى اتيح لدارسي هذا الشعر أن يفردوا لكل بيئة جهداً خاصاً بها ، وهكذا اتيح للصولي أن يعقد مؤلفاً براسه بعنوان (شعراء مصر) يفرده للحديث عن شعراء مصر دون سواهم ، ولأبي حمزة الاصفهاني أن يعقد مؤلفاً برأسه بعنوان (أصفهان) يفرده للحديث عن شعراء أصفهان دون سواهم[١٣] .

ويبدو أن هذا التوجه إلى فرز أدب البيئات بعضها عن بعض تطور على أيدي علماء القرن الرابع حتى ظهر كتاب الثعالبي (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر) الذي أعقبه بكتاب (تتمة اليتيمة) فكان الكتابان النموذج التطبيقي الامثل لوعي النقد العربي لأثر (البيئة المكانية) في الأدب ، أو بالأصح أثر تباين البيئة المكانية في تباين الأنماط الأدبية التي تنتجها كل بيئة .

وتشير الحقائق إلى أن أمر ملاحظة الأثر البيئي في الأدب قام عند الثعالبي على تصور نقدي واع أعانته عليه طبيعة الثقافة الأدبية التي تلقاها عن شيخه أبي بكر الخوارزمي الذي قضى ردحاً من الزمن في بلاط سيف الدولة الحمداني وأعجب بشعر أهل الشام الذي رآه أجود من شعر

ولنا أن نستشف من هذا النص أن (عجب) الجاحظ يوحي بإيمانه غير المعلن هنا بأثر البادية في الشعر ، فهو حين يعجب من تدفق عبد القيس بالخطابة وبالشعر بعد نزوحهم من سرة البادية التي ما كانوا فيها خطباء ولا شعراء يبدو وكأنه يفترض ألا يكون لهم خطابة ولا شعر بعد ذلك أبداً، فالبادية هي مهد الخطابة والشعر ، أما أن يقول بنو عبد القيس خطباً وشعراً بعد أن استفروا في عمان والبحرين فأمر عجب !! فأذا كان ذلك هو توجه الجاحظ المعاصر لابن سلام، صح لدينا أن نطمئن تماماً إلى أن قسم شعراء القرى العربية عند الاخير يمثل إشارة الى قناعة متداولة بين العلماء بأن البادية غير القرية وغير الحاضرة في إنتاج الأدب ، والشعر بوجه خاص.

وقد لا نظفر بعد ذلك في ما وصل الينا من مدونات القرن الثالث الهجري النقدية بنتائج جهد واضح في موضوع الربط بين البيئة المكانية والأدب ، عدا ما قد يوحي به إفراد ابن قتيبة الشعراء الهذليين وجمع تراجمهم بشكل متسلسل يكاد يفردهم عن سائر الجاهليين في كتابه (الشعر والشعراء)[١٠] . على أن ذلك لا ينبغي له أن يعني أن النقد العربي القديم نفض يده من المسألة ، فقد شهد القرن الرابع تبلوراً لتوجه الربط بين البيئة المكانية والأدب ، حتى إن الأمر أتخذ موضعه في الملاحظات النقدية غير المرتبطة بالجهد التطبيقي والمتجهه إلى التنظير النقدي الصرف ، وذلك ما نستطيع أن نتامله في نص ابن طبابطا الذي يقول فيه : ((واعلم أن العرب اودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم وما احاطت به معرفتها ، وأدركه عيانها ، ومرت به تجاربها ، وهم أهل وبر ، صحونهم البوادي ، وسقوفهم السماء ، فليست تعدو أوصافهم ما رأوه فيها))[١١] .

لقد شهد القرن الرابع الهجري (بيئات مكانية) متباينة أشد التباين تنتج شعراً متبايناً أشد التباين ، إذ كانت كل بيئة تنتج نمطها الخاص الذي يبتعد عن الانماط التي تنتجها البيئات الأخرى، فكان على النقد أن يواجه الواقع ، ويبحث عن تفسير يشمل البواعث والاثار والظواهر ، ومن هنا كان على النظر (البيني) أن يجد طريقه بشكل اوضح الى منجزات الجهد النقدي العربي .

لقد شغل نقاد القرن الرابع الهجري بالبحث في مدى اقتراب شعراء عصرهم من عمود الشعر العربي القديم أو بعدهم عنه ، وعمود الشعر عندهم شاخص في القصيدة الجاهلية القديمة (البدوية) المهاد، وهكذا استقر في قناعتهم أن مبعث التباين بين الأنماط هو البعد عن البيئة البدوية والتوزع بين بيئات حضرية متباينة الطبائع والمجتمعات والتضاريس. ولعلنا مؤهلون للالمام بهذه الحقيقة بشكل يمكننا من تحديد تصور واع لطبيعة انشداد الجهد النقدي في القرن الرابع إلى مسلك

يتعجب كثيراً لتناقض المنظورين، فيقول في ترجمة الشاعر المطراني الشاشي : ((شاعر الشاش وحسنتها وواحدها ، فإنها وسائر بلاد ما وراء النهر لم تخرج مثله إلا أبا عامر إسماعيل بن أحمد بعده))[١٧] ثم يقول في ترجمة أبي عامر نفسه : ((قد كان يقع التعجب من إخراج الشاش مثل أبي محمد المطراني في حسن شعره ، وبراعة كلامه ، فلما أخرجت من إسماعيل من ألقى أليه القول الفصل زمامه ، وملكه المعنى عنانه كان كما قيل : جرى الوادي فطم على القري))[١٨] .

إن عجب الثعالبي من إخراج الشاش هؤلاء الأدباء إشارة موحية بقناعته بأثر البيئة المكانية في الأدب.

ولنا أن نجمع إلى ذلك ما بوسعنا أن نستنبطه من تقديم الثعالبي البيئات الادبية وتأخيرها في اقسام كتابية (اليتيمة) و(التتمة) ثم تقديمه البلدان وتاخيرها في إطار البيئة الواحدة، فقد كان ذلك يقوم عنده على معايير تومىء الى رؤية بيئية واضحة الملامح يربط من خلالها بين طبيعة البيئة ونمطها الأدبي، والذي يمكن أن نسجله بهذا الصدد استنباطاً من ملاحظات الثعالبي وتعليقاته هو المنطلقات الاتية:

١. مجاورة البيئة لمهاد الشعر العربي الأولى (الجزيرة العربية) أو بعد تلك البيئة عنها.

٢. طبيعة البيئة الجغرافية ومناخها ونباتها وماؤها ،وما يمكن أن يحدثه ذلك في تركيب سكانها وطبائعهم .

٣. مدى قرب البيئة أو بعدها عن بلاد الأعاجم ، وطبيعة اختلاط أهلها بأولئك الأعاجم، ومدى تاثرهم بهم واندماجهم معهم.

ولا نريد أن نزعم هنا أن الثعالبي طبق هذه المنطلقات تطبيقاً قسرياً في دراسته شعر البينات الأدبية ، ذلك أن الرجل لم يؤلف كتابه ليطبق نظرية نقدية أرسى أسسها وجعل كتابه حقلاً تطبيقياً لها، وإنما كان يعنيه أن يترجم أدباء عصره ، فلما وجد أن توزعهم على بيئات مختلفة كان مبعث تفاوت بين أشعارهم قسم كتابه على البيئات، ثم جره ذلك إلى الحديث عن اثر البيئة في نتاج هذا الأديب أو ذاك ، أو أدب هذه البيئة أو تلك فجاءت ملاحظاته منبئة عن رؤية عميقة لأثر البيئة المكانية في الأدب بوجه عام حيناً وبوجه خاص حيناً آخر ، على أن جهد الثعالبي قد يكشف عن حقائق أخرى في مضمار النظر إلى أثر (البيئة المكانية) في الأدب ، وذلك في ملاحظات لا تبدو مهيأة لدعم منهج الكتاب وإنما ترد عفواً في بعض تعليقاته كما هو الأمر في تصوره لاثر البيئة

شعراء البيئات العربية الأخرى ، وكان ذلك الإعجاب من ضمن الحقائق التي أملاها على تلاميذه ، ومنهم الثعالبي الذي روى عنه قوله : ((ما فتق قلبي، وشحذ فهمي ، وصقل ذهني ، وأرهف حد لساني ، وبلغ بي هذا المبلغ ، إلا تلك الطرائف الشامية، واللطائف الحلبية ، التي علقت بحفظي، وامتزجت بأجزاء نفسي ، وغصن الشباب رطيب ، ورداء الحداثة فشيب)) (١٤) .

لقد تلقى الثعالبي هذا الإعجاب غير المعلل، وكان عليه هو أن يبحث عن علل تميز شعر الشام ، ويوازنه بنتاج البيئات الاخرى الشعري ، ويحاول تبين البواعث والاثار، فكان أول ما لاحظه بداوة البيئة الشامية ، وسلامة ألسنة شعرائها من التخريب الذي لحق ألسنة شعراء العراق وفارس لاختلاطهم بالأعاجم ، وكان هذا العامل هو المحور الرئيس في تعليله الذي ضمنه قوله : ((والسبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر قربهم من خطط العرب ، ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق لمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم اياهم ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة)) (١٥) .

وقد لا نخطىء أن قلنا إن هذا التمايز هو سر اتجاه الثعالبي الى تصميم منهج يتيمة وتتمتها، إذ جعل كلاً منهما أربعة أقسام جعل الأول لشعراء الشام والمغرب والأندلس، والثاني لشعراء العراق، والثالث لشعراء الجبال وفارس وجرجان وطبرستان والرابع لشعراء خراسان وما وراء النهر ، ولم يكن التقسيم تقسيماً منهجياً للتاليف فحسب ، وإنما هو تقسيم قائم على تصور نقدي بثّ الثعالبي آثاره في ملاحظات نقدية متناثرة في ثنايا الأقسام الأربعة.

لقد ظل الثعالبي حريصاً على أن يربط بين البيئة والأدب في مقدمة كتابه (يتيمة الدهر) وظل حريصاً على متابعة ذاك في التفاصيل التي أودعها في متن الكتاب، فهو حين يقرر مثلاً أن ((أصبهان لم تزل مخصوصة من بين البلدان بإخراج فضلاء الادباء وفحولة الكتاب والشعراء)) ويعلل الظاهرة بقوله : ((والسبب ما أقدره من حسن آثار طيب هوائها، وصحة تربتها، وعذوبة مائها في طباع أهلها ، وعقول أنشائها)) (١٦) .

وحين يسجل الثعالبي بعض آرائه في أدب بيئات باعيانها يشفع ذلك بتعليل يكشف عن عمق إدراكه لأثر البيئة في الأدب ، فهو إذ يتحدث عن أدباء (الشاش) البعيدة عن خطط العرب يفترض أنها بيئة عقيمة عن إنتاج أدب جيد، ولكنه حين يطلع على نتاج شاعر مبدع من أهلها

٧. الحيوان ، الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هرون ، مصر ، ١٩٣٨، ١٣٢/٣.

٨. م. ن ، ٤ /٢٨٠-٢٨١.

٩. البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هرون ، مصر ١٩٤٨م ، ٩٦/١-٩٧.

١٠. ينظر الشعر والشعراء ، ٦٥٢/٢-٦٧٠.

١١. عيار الشعر، ابن طباطبا، محمد بن احمد (ت ٣٢٢هـ) تحقيق د. طه الحاجري ود . محمد زغلول سلام ، مصر ١٩٥٦م، ١٠.

١٢. الوساطة بين المتنبي وخصومه ، الجرجاني ، القاضي علي بن عبد العزيز (ت٣٩٢هـ) تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، مصر ١٩٦٦م، ١٨.

١٣. ينظر يتيمة الدهر ، الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد ابن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ، ١٣٧٥هـ، ١٩٩/٣.

١٤. م. ن ، ١/ ٢٦ .

١٥. م. ن ، ١/ ٢٤ .

١٦. م. ن ، ٣/ ٢٩٩ .

١٧. م. ن ، ٤/ ١١٥ .

١٨. م. ن ، ٣/ ٢٨٥ .

١٩. م. ن ، ٢/ ١٠٩ .

المبكر الذي يغلب على أثر البيئة المتأخر ، فهو حين يتحدث عن الشاعر أبي نصر المهلبي يقول : ((شاعر اسفرائيني المولد ، عراقي المنشأ ، صحب أعراب البوادي ، وأخذ عنهم ، وتفاصح متشبهاً بهم))(١٩) .

فهو يتحدث عن نشأة الشاعر في العراق فيفترض ما يتوقع من لين لغته التي عرفت بها لغة العراق الحضرية المترفة ، ثم يتحدث عن مصاحبته للأعراب فيفترض ما يتوقع من فصاحة لغته التي لابد أن تنجم عن تلك المصاحبة ، ولكنه يقرر أن اصطحاب الشاعر الأعراب الذي تاخر عن نشأته في العراق لم يتمخض عن (فصاحة) وإنما تمخض عن (تفاصح).

وقد لا نفوز بعمل نقدي كانت (الرؤية المكانية) منطلقه ومادته بعد يتيمة الثعالبي وتتمتها، أما الكتب التي تابعت منهج الثعالبي في ترجمة أدباء عصر المؤلف مثل دمية القصر ووشاح الدمية وفريدة القصر والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة فإنها تبقى مدينة لمنهج الثعالبي في يتيمة سواء في منطلقها التاليفي أم في قناعتها المنهجية ، ولهذا فإن الحديث عن وعيها النقدي لأثر البيئة المكانية في الادب لن يتمخض عن جديد يضاف إلى ما قدمه الثعالبي، وإنما سيبقى تكراراً لمضامينه ، وإعادة لاطائل وراءها لملاحظاته الرائدة في هذا الميدان.

الهوامش والمصادر :

١. طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) تحقيق محمود محمد شاكر ، مصر ١٩٧٤م، ١/٢١٥-٢٧٨.

٢. م. ن ، ١/٢٣-٢٤

٣. النقد المنهجي عند العرب ، د.محمد مندور ،مصر (د. ت)، ١٦٣.

٤. طبقات فحول الشعراء ، ١/١٤٠

٥. الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ابو عبد الله محمد بن مسلم ، (ت٢٧٦هـ) تحقيق احمد محمد شاكر ، مصر ١٩٦٦م،١/١٣٣.

٦. م. ن، ١/٤٦.

للتمييز بين ما هو سجيل نفطي وما هو فحم. فالرسوبيات التي تخلف أكثر من ٣٣٪ وزناً من الرماد تعد رسوبيات سجيلية نفطية . والرسوبيات التي تخلف أقل من ٣٣٪ وزناً تعد من رسوبيات الفحم الحجري .

وذهب دنكان D. C. Duncan الى تعريف السجيل النفطي على إنه صخر رسوبي ناعم النسجة يحتوي على مواد عضوية لا تذوب في المذيبات النفطية الأعتيادية . إلا أن هذه المواد قادرة على إنتاج النفط بواسطة التسخين وبمعدل يتراوح بين ١٠-١٥٠ غالون نفط لكل طن من الصخر . وبذلك تتراوح نسبة وزن النفط المستخرج الى وزن الصخر بين ٤٪ الى أكثر من ٥٠٪ وزناً[٢].

لا ينحصر مفهوم السجيل النفطي على السجيل المعروف بالحبيبات الناعمة والصلبة والقابلة للتشقق ، بل يمتد ليشمل عدداً آخر من الصخور الغرينية والكلسية النقية والسجيل الأسود والفحم النقي ،.وتتراوح الوان السجيل النفطي تبعاً لألوان هذه الصخور بين الأسمر والأخضر والأحمر والأسود .

أصل السجيل النفطي :

تكون السجيل النفطي من تراكم المواد العضوية في أحواض مائية واسعة تتمثل بالبحيرات والبحار الضحلة والأرصفة القارية . وقد رافق تراكم المواد العضوية ترسيب كميات هائلة من الطين والكلس والرمل . وتبعاً لذلك إزداد الضغط والحرارة على المواد العضوية . وتحت تأثير الضغط المرتفع والحرارة العالية وعبر ملايين السنين تكونت طبقة طينية بنية اللون تعرف بطبقة الماهوكوني Mahogany تحتوي على مادة الكيروجين. والكيروجين Kerogen مادة هيدروكاربونية صلبة ذات وزن ذري مرتفع جداً يزيد عن ٣٠٠٠ ولذلك فهو لا يذوب في المذيبات النفطية[٣] .

يصنف الكيروجين على أساس النشأة والمنتجات الى ثلاثة أصناف :

١. الكيروجين الدبالي Humic-type Kerogens :

نشأ هذا الكيروجين من مواد نباتية مصدرها الغطاء النباتي البري . ويتصف هذا النوع من الكيروجين بالقدرة على إنتاج الغاز .